

محمد بن سلام الجمحي

رائد النقد الموضوعي في القرن الثالث الهجري

للدكتور محمد حسن زيني

ألفت في القرن الثالث الهجري كتب نقدية كثيرة من أهمها : كتاب « طبقات فحول الشعراء » لمحمد بن سلام الجمحي^(١) الذي عاش بين سنة ١٣٩ هـ و ٢٣١ هـ جرية ، وكتاب « الشعر والشعراء » لابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ هـ . ويظن أن كتاب « جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والاسلام » لمحمد بن أبي الخطاب ، قد ألفت في ذلك القرن .

والعلم بالعربية ، اذا اختلفت الرواة فقالوا بآرائهم ، وقالت العشائر بأهوائها فلا يقنع الناس مع ذلك الا الرواية عمن تقدم . فاقصرنا [من الفحول المشهورين على أربعين شاعرا . فألفنا من تشابه شعره منهم الى نظرائه فوجدناهم عشر طبقات أربعة رهط كل طبقة متكافئين معتدلين]^(٢) . ويقول ايضا : « ثم اقتصرنا بعد الفحص والنظر والراوية عمن مضى من أهل العلم إلى رهط أربعة [على أنهم أشعر العرب] طبقة ، ثم اختلفوا فيهم بعد ، وسنسوق اختلافهم واتفاقهم ونسمي الأربعة ، ونذكر الحجة لكل واحد منهم ، وليس تبدت لنا واحداً في الكتاب نحكم له ، ولا بد من مبتدأ . ونذكر

ويبدو أن محاولة تنظيم المؤلفات النقدية حول الشعر والشعراء قد بدأت عند كل من ابن سلام وابن قتيبة . وقد قسم ابن سلام الشعراء في كتابه الى جاهليين واسلاميين . وقسم الشعراء الجاهليين الى عشر طبقات ، ووضع في كل طبقة أربعة من الشعراء ، وكذلك فعل مع الشعراء الاسلاميين تقريبا . يقول ابن سلام موضحا طريقته هذه على النحو التالي : « ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والاسلام والمخضرمين فنزلناهم منازلهم واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة ، وما قال فيه العلماء ، وقد اختلف الرواة فيهم ، فنظر قوم من أهل العلم بالشعر والنفاذ في كلام العرب

٢٣٢ ، وفؤاد سزكين في :

Geschichte des Arabischen Schrifttums, Band 1 p 80, 379.

(٢) طبقات فحول الشعراء لابن سلام (تحقيق محمود محمد

الشكر ، ط . الثانية . مطبعة المدني سنة ١٣٩٤ هـ ص

٢٣ . ٢٤) .

(١) انظر ترجمته في « الفهرست لابن النديم (تحقيق

جوستاف فلوجل) ص ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٢ ، ٣٥ ، وفي

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٥ ص ٣٢٧ - ٣٣٠ (ط

مصر) ومعجم الأدباء لياقوت ج ٧ ص ١٣ ، وبغية الوعاة

للسيوطي ص ٤٧ . ومعجم المطبوعات العربية لسركيس ص

أولا : الزمان :

فهناك طبقات الشعراء الجاهليين ، وطبقات الشعراء الاسلاميين . فقد اختلفت حياة العرب الروحية في الاسلام عنها في الجاهلية ، وهذا ما دفع بعض الناقدين الى الاعجاب بطريقة ابن سلام فقال عنه : « وكأنه هو وغيره من اللغويين لم يكونوا يتصورون الموازنة بين شاعرين اختلفا في الزمن والعصر الذي عاشا فيه ، وهو نوع من الدقة في الحكم ، اذ لكل زمن ظروفه وأحواله التي يرتبط بها الشعراء »^(٥). وحقاً فإن لعامل الزمن أبعاد الأثر في نتاج الأدب ، اذ أن الأديب يعكس مجتمعه بما فيه من صور فيبقى مرآة زمانه . أثر عن الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيما يرويه أبو الحسن حازم القرطاجني أنه قال : « كل شعرائكم محسن ، ولو جمعهم زمان واحد ، وغاية واحدة ، ومذهب واحد في القول ، لعلمنا أيهم أسبق إلى ذلك ، وكلهم أصاب الذي أراد وأحسن »^(٦) .

وهذا ما جعل ابن سلام يهتم أولاً بمبدأ الزمان لأهميته في ميدان النقد الموضوعي .

ثانيا : المكان :

ويبدو ان الجمحي كان في هذا المبدأ ، أول

من شعرهم الأبيات التي تكون في الحديث والمعنى »^(١) .

ويظن أن ابن سلام لم يبتكر هذا التصنيف للشعراء ، اذ لاحظ بعض النقاد المحدثين أن ابن سلام قد تأثر بأساتذة سبقوه أشار اليهم غير مرة ، وكلهم من اللغويين أمثال أبي عبيدة^(٢) والأصمعي^(٣) . فهو إذن لم يخترع هذه الطبقات اختراعاً بل أكمل ما بدأه اللغويون قبله . وهذا ما جعل بعض الباحثين يذهبون الى أن النقد الأدبي لما تقدم عند العرب رأيانهم لا يكتفون بالحكم على شاعر بالامتياز عن سواه ، وانما هم قد وضعوا الشعراء في مراتب وطبقات . وما كتاب محمد بن سلام في طبقات الشعراء ، إلا رصد لهذا الذي كان مسلماً به في محيط النقد ودارسي الشعر من نحاة ولغويين وأدباء في عصره . فليس ابن سلام هو الذي وضع امراً القيس في الطبقة الأولى من فحول الشعراء ، ولكن العرف الذي كان متفقاً عليه في عصره هو الذي أملى عليه هذا الحكم ، وهكذا في عموميات ما قد أصدر من أحكام^(٤) .

وقد قسم ابن سلام الشعراء طبقاً لمبادئ ضرورية وأسس أملت طابع الأشياء في عصره ، وهي :

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٤٩ - ٥٠ .

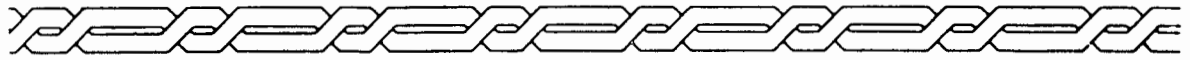
(٢) النقد : للدكتور شوقي ضيف ص ٤٤ (دار المعارف القاهرة ١٩٥٤ م) .

(٣) تاريخ النقد الأدبي عند العرب د . احسان عباس ص ٥٢ .

(٤) محاضرات في النقد الأدبي : للدكتورة سهير القلماوي

(٥) النقد : للدكتور شوقي ضيف ص ٤٤ .

(٦) منهاج البلغاء وسراج الأدباء للقرطاجني تحقيق الحبيب بن الخوجة (طبعة تونس سنة ١٩٦٦ م) .



عنه أشعر المدنيين ، وجعل عبد الله الزبيري
أبرع المكين .

والواقع أن أثر البيئة في إنتاج الشعر له أهميته
الخاصة في اظهار جودة الشعر وقوته . وقد أورد
المرزباني عن الشعبي نصا يوضح أثر البيئة
(البادية) في نتاج الشعراء الجاهليين خاصة :

قال النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر :

تَرَاكَ الْأَرْضُ إِمَّا مِتَّ خِفَاً
وَتَحْيَى إِنْ حَيَّتْ بِهَا ثَقِيلًا^(٤)

فقال النعمان : هذا بيت إن أنت لم تتبعه بما
يوضح معناه كان إلى الهجاء أقرب منه إلى
المديح . فأراد ذلك النابغة فعسر عليه فقال :
أجلني ، قال قد أجلتك ثلاثاً ، فإن أنت أتبعته ما
يوضح معناه فلك مائة من العصافير نجائب ،
والا فضربة بالسيف أخذت منك ما أخذت .
فأتى النابغة زهير بن أبي سلمى ، فأخبره الخبر
فقال زهير : أخرج بنا إلى البرية فان الشعر
بري ، فخرجا ، فتبعهما ابن زهير يقال له
كعب^(٥) « . . الخ .

ورحم الله الاستاذ طه أحمد ابراهيم الذي
جمع نصوصا من التراث النقدي تبين كيف أن
العرب أحسوا أثر البيئة في الشعر ، وكيف انهم لم
يحسوا ذلك الأثر في طبيعة الشعر نفسه وفي
مذاهبه وفنونه بقدر ما أحسوه في شكله وبنيته

ناقد عربي يلاحظ أثر البيئة في النتاج الأدبي ،
وان الشعراء مختلفون باختلاف بيئاتهم .
نلاحظ ان هناك شعراء للمدينة وشعراء لمكة
وشعراء للطائف وشعراء لليمامة وشعراء
للبحرين . ومن أجل هذا جمعهم في طبقة
واحدة أطلق عليها : « طبقة شعراء القرى
العربية » .

ويرى الدكتور محمد مندور أن هذه الظاهرة
من مخلفات الروح الجاهلية ، روح الإقليم
والقبلية التي لم يستطع ان يمحوها . فظلت
مصدراً للفتن والقلقل في تاريخ العرب
السياسي ، وللمفارقات والتلوين في تاريخهم
الأدبي^(١) .

غير أن تقسيم ابن سلام هذا قد أعجب
الكثيرين ورأى بعضهم أننا اذا أردنا أن نتحدث
عن بعض الطرق الحديثة في دراسة الأدب لا
نستطيع ان نقسم الشعراء الا على هذه
التقسيمات ولا نستطيع أن نأتي بغيرها^(٢) .

ويرى ابن سلام ان طبقة شعراء القرى العربية
خمس : المدينة ومكة والطائف واليمامة
والبحرين وأشعرهم قرية المدينة ، شعراؤها
الفحول خمسة : ثلاثة من الخزرج واثنان من
الأوس^(٣) . هذا وقد فاضل ابن سلام بين شعراء
كل قرية ، فجعل حسان بن ثابت رضي الله

تخف الأرض ، إن تفقدك يوما
وتبقى ما بقيت بها ثقيلا
(٥) الموشح : للمرزباني ص ٥٨ (تحقيق علي محمد البجاوي -
دار النهضة - مصر سنة ١٩٦٥ م) .

(١) النقد المنهجي عند العرب : محمد مندور ص ١٢ - ١٣ .
(٢) أنظر : النقد الأدبي ، د . سهير القلماوي ص ٤١ .
(٣) طبقات فحول الشعراء ص ١٧٩ .
(٤) رواية الديوان (تحقيق فوزي عطوي - لبنان ١٩٦٩ م) ص
١٠٣ :

أبو عبيدة عن شعر النابغة الذبياني : « ان شئت قلت : ليس بشعر مؤلف من تأنيثه ولينه . وان شئت قلت : صخرة لو رديت بها الجبال لأردتها » . وترى هذه الباحثة عدم جدوى المقارنة بين شعر البدو وشعر الحضرة في الجاهلية إذ عطاؤها قليل ولا يزيد على بعض ظواهر شكلية وفروق لفظية وأسلوبية لا تعطي قيمة فنية أو خصائص جوهرية ذات بال . واستوت عندها النظرة في حياة الشاعر الجاهلي سواء كان في مكة أو المدينة أو الطائف أو في الصحراء وحجتها في ذلك أن الحضري « لم يكن يركب سيارة ويستضيء بغاز أو كهرباء حين كان معاصره في صميم البادية يركب الناقة ويوقد النار » (٤) .

ثالثاً : نوع الأثر الأدبي :

وقد اهتم ابن سلام إلى جانب اهتمامه بمبدأ الزمان والمكان اهتم بنوعية الشعر أو قل بالفنون الشعرية عند الشعراء أو ما يسمى بموضوعات الشعر عند مؤرخي الشعر ونقاده . فقد أفرد لشعراء فن الرثاء طبقة خاصة بهم ، وهو الفن الخاص الذي اغازوا به على غيرهم من شعراء الجاهلية والاسلام ، وأصحاب المراثي هؤلاء عنده هم :

١ - مُتَمِّم بن نُويرة وهو الذي اشتهر حقاً بمرثيته لأخيه مالك ، وفيه يقول :

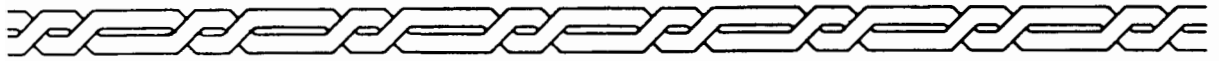
وصلاحيته لأن يعتمدوا عليه في تصحيح معنى أو تصريح مادة . وقد قرر أنهم على كل حال فهموا أن اقامة « عبيد الله بن قيس الرقيات بتكريرت أضرت بفصاحته الحجازية ، وان من شأن شاعر كعدي بن زيد أن يتأثر بمن حوله من الأخلاط ، يتأثر بالبيئة الحاضرة التي هو فيها فينال ذلك من ملكته في الشعر ، ومن فصاحته في اللغة » (١) .

ويضيف الأستاذ طه احمد ابراهيم أن « النقد هنا لا يتعرضون لجودة الشعر أو رداءته ولا يتأثرون بأذواقهم ، وانما يقررون صلات بين الشعر وبين صاحبه ، أو بينه وبين بيئته . وهذا يسمى النقد الموضوعي ، لأنه خارج عن نفسية الناقد ، ومتصل بالمشاهدة والفكر والتعليل » (٢) .

وعلى الرغم مما أحس الأوائل وأدرك المتأخرون من أهمية المكان والبيئة في تقويم شعر الشاعر ، فإن بعض الباحثين المحدثين قد قلل من أهمية البيئة هذه . ولهذا نعجب مما نادت به د . بنت الشاطي : من أن البيئة ليست العامل الكبير المؤثر في الشعر ، واتخذت من شعر النابغة الذبياني دليلاً تؤيد به ما ذهبت إليه ، إذ عاش النابغة في قصور المناذرة بالحيرة حيث الترف ونعومة العيش في أعلى مستوى عرفته بيئة (٣) حضرية لعرب الجاهلية . وقد تعلقت الباحثة بخيط من خيوط الحقيقة مما قاله

(٣) قيم جديدة في الأدب العربي : للدكتورة بنت الشاطي ، (دار المعارف ١٩٧٠ م) ص ٢٣ .
(٤) قيم جديدة في الأدب العربي : للدكتورة بنت الشاطي ، (دار المعارف ١٩٧٠ م) ص ٢٣ .

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب : طه أحمد ابراهيم ص ٦٩
(دار الحكمة - لبنان سنة ١٩٣٧ م) .
(٢) المرجع نفسه ص ٦٩ .



لعمري وما دَهري بتأبين هالك

ولا جَزَع مِّمَّا أَصَابَ وَأَوْجَعاً^(١)

٢ - الخنساء التي طبقت في الشعر العربي القديم شُهرُها الآفاق بإكثارها من رثاء أخويها صَخْرَ ومُعاوية . وإن ما قالته الخنساء في رثاء أخيها صَخْرٍ قد تناقلته الألسن منذ أواخر العصر الجاهلي إلى عصرنا الحاضر خاصة بيتها المشهور :

وإنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُّ الْهُدَاةَ بِهِ

كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارُ

وقالت فيه أيضا :

أَمِنْ حَدَثِ الْأَيَّامِ عَيْنُكَ تَهْمُلُ

وَتَبْكِي عَلَى صَخْرٍ وَفِي الدَّهْرِ مَذْهَلُ

وهي التي قالت في أخيها معاوية كذلك :

أَلَا مَا لِعَيْنِكَ أَمَ مَا لَهَا

لَقَدْ أَخْضَلَ الدَّمْعُ سِرْبَالَهَا

٣ - أعشى باهلة وهو من أصحاب المراثي

المشهورين عند ابن سلام ، وقد عرف بمرثيته للمنتشر بن وهب الباهلي قتيل بني الحارث بن كعب ، وفيه يقول :

لَا يَأْمَنُ النَّاسُ مُمَسَّاهُ وَمُصَبَّحَهُ

مَنْ كُلُّ أَوْبٍ وَإِنْ لَمْ يَغْزُ يُنْتَظَرُ^(٢)

٤ - كعب بن سعد الغنوي ، وسعدُ هذا قد

جعله ابن سلام في آخر طبقة المراثي . وكعب ابن سعد الغنوي هو الذي عرف الأوائل مرثيته^(٣) في أخيه أبي المغوار، وفيه يقول :

وَدَاعٍ دَعَا: يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى

فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَلِكَ مُجِيبُ

فقلت: أدع أخرى وارفع الصوت دَعْوَةً

لَعَلَّ أَبَا الْمَغْوَارِ مِنْكَ قَرِيبُ

ولعل أهم ما يلاحظ على هذا الفن الشعري

الخاص ، تلك المراثي انها من اشهر بل وأجود ما قيل في فن الرثاء من وجهة نظر الأوائل أنفسهم . وإن أجود مرثية في نظر ابن سلام نفسه هي مرثية متمم بن نويرة . يقول عن صاحبها صراحة في طبقاته : « والمقدم عندنا متمم بن نويرة »^(٤) .

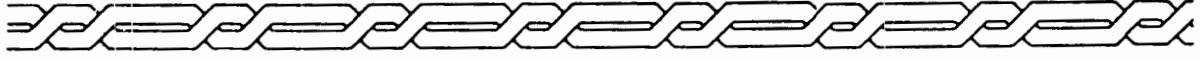
وإذا كان ابن سلام قد وفق في استخدام تلك المبادئ والأسس النقدية في طبقاته وترك لنا لأول مرة في تاريخ النقد الأدبي العربي كتاباً يجمع بين دفتيه تلك الأسس ، فانه لم يسلم من نقد الناقدين ، إذ لاحظوا عليه إهماله للمشاهير من الشعراء العباسيين المعاصرين له على أقل تقدير . فلم يفرد لهم طبقة خاصة بهم بل لم يشر إليهم البتة ، ولم يعدّهم من الشعراء الاسلاميين . هذا إلى جانب ما لاحظوه على طبقاته أنها

(٣) ذكر صاحب الجمهرة هذه المرثية ضمن المراثي السبع الشهيرة عند العرب ولم يعدّه الأصمعي من الفحول الا في المرثية فانه ليس في الدنيا مثلها قال وكان يقال له كعب الأمثال (فحول الشعراء ص ٥١٠) .

(٤) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ص ٢٠٤ .

(١) ذكرها صاحب جمهرة اشعار العرب ضمن أصحاب المراثي السبع .

(٢) ذكرت هذه المرثية ضمن المراثي السبع في كتاب جمهرة اشعار العرب لابن أبي الخطاب . وقد اعتبره الأصمعي من الفحول وقال : وله مرثية ليس في الدنيا مثلها (فحول الشعراء للأصمعي ص ٥٠٩) .



الشديد للنصوص الأدبية .

وقد أشار ابن سلام الى هذا الأساس النقدي في مقدمة طبقات فحول الشعراء . يقول ابن سلام في طبقاته : « قال محمد : قال خلاد بن يزيد الباهلي لخلف بن حيان أبي محرز - وكان خلاد حسن العلم بالشعر يرويه ويقول - بأي شيء ترد هذه الأشعار التي تروى ؟ قال : هل [فيها ما] تعلم انه مصنوع لا خير فيه ؟ قال : نعم قال : أفتعلم في الناس من هو اعلم بالشعر منك ؟ قال : نعم . قال : فلا تنكر أن يعلموا من ذلك أكثر مما تعلمه أنت . » و« قال قائل لَخَلْفٍ : إذا سمعت أنا بالشعر استحسنه ، فما أبالي ما قلت فيه أنت وأصحابك . قال له : إذا أخذت أنت درهما فاستحسنته ، فقال لك الصَّرَافُ : إنه رديء هل ينفعك استحسانك له » (١) ؟

هذا وقد شغل ابن سلام نفسه في أول صفحات طبقاته بمبدأ الممارسة النقدية وأن هذه الممارسة على حد تعبيره لتُعدي على العِلْم به . ومن هنا كان لزاما على الناقد أن يكثر من هذه الممارسة النقدية كي يقوي من موهبة النقد عنده فيكون ناقدًا محترفًا متخصصًا الى جانب كونه ناقدًا موهوبًا ذا ملكة نقدية أصيلة ، ومن أجل هذا نرى ابن سلام (٢) يشير إلى ذلك في مقدمة طبقاته فيقول ما نصّه :

ترجمت للشعراء الممتازين خاصة وأهملت المُقلّين أو الأقل شهرة ، ثم إنها بعد هذا وذاك لم تجمع بين جنباتها جميع شعراء العربية منذ فجر التاريخ العربي القديم . ولعل حجته في ذلك أنه لم يرد لطبقاته أن تكون موسوعة من الموسوعات أو دائرة معارف جامعة شاملة بل أراد لطبقاته أن تكون كتاباً نقدياً موضوعياً .

رابعاً : الدراسة والاختبار :

على أن ابن سلام وإن كان قد اهتم اهتماماً بالغاً بالمبادئ والأسس النقدية الثلاثة السابقة ، فإنه من جانب آخر لم يهمل مبدأً نقدياً هاماً له دوره في تقدم النقد ونضوجه . ذلك انه اهتم بجانب ذلك بالدراسة والاختبار . فدرس ومحص عن كتب ما وصل اليه من أخبار عن أولئك الشعراء وعن نتائجهم الشعري والدراسة والتمحيص أمران لازمان عنده للناقد الموضوعي . وعلى الناقد أن يشق على نفسه في هذه المهمة الصعبة فواجبه كناقد أن يدرس النص الشعري عن كثب ويحلله ويقومه . وهذا بدوره مما يعود على الناقد نفسه بالمهارة المرجوة في مجال النقد ، فلا يكفي مثلاً أن توجد الملكة الذوقية الفطرية لدى الناقد في تذوق النص الشعري أو الثري ، بل لا بد من الخبرة في هذا المجال . ولا تتحقق الخبرة إلا بطول الدراسة والاطلاع والمران والفحص

من الانتاج فيها ، يتضح ذلك من قائمة كتب والأعمال المنسوبة اليه في الفهرست لابن النديم . انظر : J.Hell في مقدمة تحقيقه لطبقات ابن سلام (لیدن ص ١٢ - ١٦) .

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٧ .

(٢) ومن أجل هذا ذهب « يوزيف هُل » أحد محققي كتاب طبقات فحول الشعراء ، إلى أن ابن سلام كان موسوعي الاطلاع ، يشتغل بجميع فنون الثقافة والعلوم المعروفة في زمانه ، ويكثر

على العلم [به] ، فكذاك الشعر ، يعرفه أهل العلم به »^(١) .

فهذه الممارسة هي التي تربي حقا الذوق الفني عند الناقد فيستطيع بموهبته ومهارته إلى جانب خبرته وتخصصه أن يتمكن من إصدار الأحكام النقدية على أي أثر فني يعرض عليه . وحقا لقد وجد قبل ابن سلام من يسمون بخبراء الشعر أو نقاده المحترفين أمثال ابن سلام ، وذلك بعد اتساع رقعة الاسلام في ربوع الخلافة الاسلامية . يروي ابن سلام عن « ابن عون عن ابن سيرين قال : قال عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] كان الشعرُ علمَ قوم لم يكن لهم علم أصح منه فجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلو بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته . فلما كثر الاسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالامصار ، راجعوا رواية الشعر فلم يؤولوا الى ديوان مدون . ولا كتاب مكتوب . وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل فحفظوا أقل ذلك . وذهب عليهم منه كثير ، وقد كان عند النعمان بن المنذر منه ديوان فيه أشعار الفحول وما مدح وأهل بيته [به] فصار ذلك الى بني مروان أو صار منه » .

« قال يونس بن حبيب قال أبو عمرو بن العلاء : ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا أقله ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير »^(٢) .

« وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم ، كسائر أصناف العلم والصناعات منها : ما تتقفه العين ، ومنها ما تتقفه الأذن ، ومنها : ما تتقفه اليد ومنها ما يتقفه اللسان . من ذلك اللؤلؤ والياقوت ، لا يعرف بصفة ولا وزن دون المعاينة ممن يُبصره . ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدَّرهَم ، لا تعرف جودتهما بلون ولا مس ولا طراز ولا [وسم] ولا صفة ، ويعرفه الناقد عند المعاينة ، فيعرف بهرجها وزائفها وستوقها ومُفرغها ، ومنه البصرُ بغريب النخل ، والبصر بأنواع المتاع وضروبه واختلاف بلاده [مع] تشابه لونه ومسه وذرعه ، حتى يضاف كل صنف الى بلده الذي خرج منه . وكذلك بصَر الرقيق ، فتوصف الجارية فيقال : ناصعة اللون ، جيدة الشَّطْب ، نقيّة الثَّغر ، حسنة العين والأنف ، جيدة النهود ، ظريفة اللسان ، واردة الشعر ، فتكون في هذه الصفة بمئة دينار وبمئتي دينار ، وتكون أخرى بألف دينار وأكثر ، لا يجد واصفها مزيداً على هذه الصفة . [وتوصف الدابة فيقال : خفيف العنان ، لين العظام ، شديد الحافر ، فتي السن ، نقي من العيوب ، فيكون بخمسين ديناراً أو نحوها ، وتكون أخرى بمئتي دينار أو أكثر ، وتكون هذه صفتها . ويقال للرجل والمرأة في القراءة والغناء : انه لندي الصوت والحلق ، طل الصوت ، طويل النفس ، معيب اللحن ، ويوصف الآخر بهذه الصفة وبينهما بون بعيد يعرف ذلك العلماء عند المعاينة والاستماع له ، بلا صفة ينتهي إليها ولا علم يوقف عليه] . وان كثرة المدارس لتعدي

(٢) طبقات فحول الشعراء ص ٢٤ - ٢٥ .

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٥ - ٧ .



هذا وإن كان ابن سلام قد جانب الصواب^(١) في بعض ما قال خاصة في اشارته الى عدم التدوين ، فإن مجمل كلامه هذا كان دليلاً نقلياً واضحاً في ضياع الكثير من الشعر العربي القديم ، ولكن لا يعرف هذه الحقيقة الا المتخصصون ومن مارسوا النقد ووقفوا عن كتب على تلك المعارف القديمة .

خامساً : استقاء الشعر من مصادره :

إذا كان ابن سلام قد اهتم كثيراً بالأساس النقدي الهام ، فبدأ الدراسة والتمحيص ، فانه أضاف الى ذلك أساساً نقدياً هاماً آخر له خطره وقيمته الفنية في مجال النقد التوثيقي خاصة وأعني بذلك الاهتمام بصحة النصوص الأدبية سواء كانت شعراً أو نثراً قبل نقدها وفحص ما فيها من جيد وردي . ومن هنا يبدو جلياً مدى ما حظي به ابن سلام من عناية بالنقد التوثيقي خاصة ، والتثبت من صحة النص ، وهذا الأمر له أهميته القصوى في التعرف على سلامة النص الأدبي . وقد شغل مُدوّن الحديث بذلك قبل اهتمام اللغويين والنقاد به الذين أجهدوا أنفسهم في التعرف على القائل الحقيقي لذلك الشعر الذي وصل اليهم في مرحلة التدوين ، قال الجمحي في طبقاته : « فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها استقل بعض العشائر شعر شعرائهم ، وما ذهب من ذكر وقائعهم ، وكان قوم قَلَّت وقائعهم وأشعارهم

وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار ، فقالوا على ألسن شعرائهم . ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الأشعار [التي قيلت] . وليس يُشكل على أهل العلم زيادة [الرواة ولا ما وضعوا] ، ولا ما وضع المولدون . وإنما عَصَل بهم أن يقول الرجل من أهل بادية من ولد الشعراء أو الرجل ليس من ولدهم فيُشكل ذلك بعض الاشكال »^(٢) .

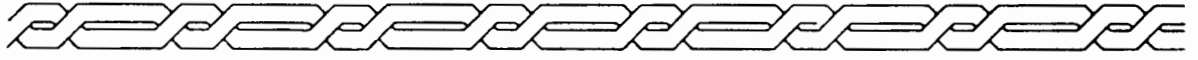
وقد قال ابن سلام صراحة في مقدمة طبقاته : « وفي الشعر مصنوع مفتعل ، وموضوع كثير لا خير فيه ولا حجة في عربيته ، ولا أدب يستفاد ، ولا معنى يستخرج ولا مثل يضرب ، ولا مديح رائع ، ولا هجاء مقذع ، ولا فخر معجب ، ولا نسيب مستطرف ، وقد تداوله قوم من كتاب الى كتاب ، لم يأخذوه عن أهل البادية ولم يعرضوه على العلماء وليس لأحد اذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه أن يقبل من صحيفة ولا يروى من صحفي »^(٣) .

ومن أجل هذا أشار ابن سلام الى أن الشعر يجب استقاؤه من مصادره الصحيحة ومن رواته الثقات لأنهم أدرى الناس به ولا يخفى عليهم المنحول منه والزائف . يروي ابن سلام فيقول : « أخبرني أبو عبيدة أن ابن داود بن متمم بن نويرة قدم البصرة في بعض ما يقدم له البدوي في الجلب والميرة فنزل النحيت ، فأتيته

(٢) طبقات الشعراء ، ص ٤٦ - ٤٧ .

(٣) طبقات الشعراء ، ص ٤ .

(١) يذهب الدكتور ناصر الدين الأسد الى أن كلام ابن سلام هذا ثلاثة أشرطة ، آخرها حق وأوسطها باطل وأولها يحتاج الى فصل بيان (مصادر الشعر الجاهلي ص ١٩٥) .



أنا وابن نوح [العطاردي] فسألناه عن شعر أبيه متمم وقمنا له بحاجته ، وكفيناه ضيعته ، فلما نفذ شعر أبيه جعل يزيد في الأشعار ويضعها لنا ، وإذا كلام دون كلام متمم ، وإذا هو يحتذي على كلامه فيذكر المواضع التي ذكرها متمم ، والوقائع التي شهد بها . فلما توالى ذلك علمنا أنه يفتعله»^(١) .

وهنا يدق ابن سلام في مسألة ثقافة الناقد ودرايته حتى يكون بصيرا بما ينقد وحتى تكون أحكامه النقدية مقبولة لصدورها عن ناقد بصير خبير يستطيع تمييز الصحيح من الزائف في الأشعار والأخبار . ولهذا يقرر ابن سلام فيما يخص الشعر العربي القديم قبل الاسلام انه قد ضاع منه الشيء الكثير ولم يصل الى ايدي المصححين الثقات الا الشيء اليسير . يقول ابن سلام صراحة في طبقاته : « ومما يدل على ذهاب الشعر وسقوطه ، قلة ما بقي بأيدي الرواة المصححين لطرفة وعيب اللذين صح لهما قصائد بقدر عشر ، وان لم يكن لهما غيرهن ، فليس موضعهما حيث وضعنا من الشهرة والتقدمة وان كان ما يروى من الغناء لهما ، فليسا يستحقان مكانهما على أفواه الرواة ، ونرى ان غيرهما قد سقط من كلامه كلام كثير ، غير ان الذي نالهما من ذلك أكثر وكانا أقدم الفحول ، فلعل ذلك لذاك ، فلما قل كلامهما حمل

عليهما حمل كثير»^(٢) .

هذا ولم تكن المشكلة محصورة في التعرف على مصادر النصوص الشعرية فحسب ، بل اضطرت رواة الشعر ومدونوه الى التعرف على الشعراء أنفسهم وقبائلهم ، اذ نسب شعراء الى غير قبائلهم . فقد كان الشعر في الجاهلية في ربيعة ثم تحول الى قيس وآل الى تميم فيما بعد ولم يزل فيهم كما لاحظ ذلك ابن سلام نفسه^(٣) غير انه من العجيب حقا أن يعد الرواة زهير ابن أبي سلمى وابنه كعباً من عبد الله بن غطفان وهما من مزينة^(٤) وقد سجل ابن سلام هذا في طبقاته قائلا : « وقالت العشائر باهوائها»^(٥) .

هذا وقد شك ابن سلام في معظم ما رواه الرواة غير الثقات محاولا استخدام الأدلة العقلية والعقلية في رد ما رويوا من شعر يشك في صحته . وقد كان محمد بن اسحاق بن يسار ، صاحب السيرة النبوية ، أول الرواة الذين شك فيهم ابن سلام في طبقاته . وقد تشكك الجمحي في كل ما رواه ابن إسحاق عن عاد وثمود وغيرهم بأدلة من القرآن الكريم وبأمور لا يقبلها العقل بل يشك فيها ، واتهمه بافساد الشعر وتهجينه . يقول ابن سلام عنه صراحة : « وكان ممن أفسد الشعر وهجنه وحمل كل غثاء منه محمد بن اسحاق بن يسار - مولى آل مخزومة ابن المطلب بن عبد مناف - وكان من علماء

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٤٧ - ٤٨ .

(٢) طبقات ص ٢٦ .

(٣) وقد سبقه الى هذا القول الأصمعي في كتابه : فحولة الشعراء تحقيق تولري ص ٥٠٦ . وانظر طبقات ابن سلام ص ٤٠ .

(٤) طبقات ابن سلام ص ١٠٩ - ١١٠ ، ١٠٦ .

(٥) طبقات ص ٢٤ .

عليها [فقال : ما أطرفتني شيئاً ! فعاد إليه
فأنشده القصيدة التي في شعر الحطيئة مديح أبي
موسى ، فقال : ويحك ! يمدح الحطيئة أبا
موسى لا اعلم به ، وأنا أروي [شعر] الحطيئة ؟
ولكن دعها تذهب في الناس ، [قال ابن
سلام] : أخبرني أبو عبيدة عن عمر بن سعيد
ابن وهب الثقفي قال : كان حماد لي صديقاً
مُطِطفاً فعرض عليّ ما قبّله يوماً . فقلت له :
أملر عليّ قصيدة لأخوالي من سعد بن مالك ،
فنظر فأملى عليّ :

إِنَّ الْخَلِيطَ أَجَدُّ مُنْتَقَلُهُ
وَكَذَلِكَ زُمْتُ غُدُوَّةَ إِبِلُهُ
عَهْدِي بِهِمْ فِي النَّقَبِ قَدْ سَنَدُوا
تَهْدِي صَعَابَ مَطِيَّهِمْ ذُلُّهُ

وهي [لأعشى همدان] . وسمعت يونس
يقول : العجب لمن يأخذ عن حماد ، كان
يكذب ويلحن ويكسر^(٣) .

والحق أن شخصية حماد هذا شخصية قد
جمعت من التناقض في الأخبار ما لم يتوفر
لشخصية أخرى تقريباً . فبعض الرواة يثق في
رواية حماد وفي شخصيته . والبعض الآخر
كابن سلام مثلاً لا يثق به ولا بروايته البتة .

فإذا كان أبو الفرج الأصفهاني يورد نصاً في
أغانيه يؤكد مقدرة حماد وبراعته في رواية الشعر
مثل النص الذي نُورده هنا عنه ، فانه يورد
نصوصاً أخرى تشكك في شخصية حماد .

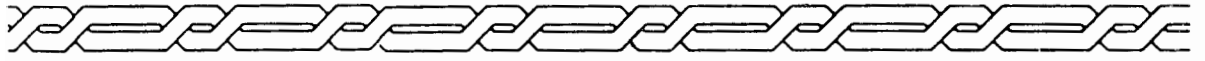
الناس بالسيرة فقبل الناس عنه الأشعار . وكان
يعتذر منها ويقول : لا علم لي بالشعر أوتى به
فأحمله ، ولم يكن ذلك له عذراً . فكتب في
السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط ،
وأشعار النساء فضلاً عن الرجال ، ثم جاوز ذلك
الى عاد وثمود [فكتب لهم أشعاراً كثيرة وليس
بشعر ، انما هو كلام مؤلف معقود بقواف] .
أفلا يرجع الى نفسه فيقول : من حمل هذا
الشعر ؟ ومن آذاه منذ آلاف من السنين [والله
تبارك وتعالى يقول : ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ
ظَلَمُوا ﴾ أي لا بقية لهم . وقال أيضاً :
﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى ﴾ .
وقال في عاد : ﴿ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴾
» [وقال : ﴿ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾] وقال :
﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ
وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا
اللَّهُ ﴾^(١) .

غير ان ابن سلام قد شك الشك كله في حماد
الراوية وأنزله من عليائه ، ونقده نقداً مؤيداً
بالأدلة على فساد روايته ، وانه لا يوثق به في
مجال رواية الشعر البتة . يشير ابن سلام اليه بأنه
كان « أول من جمع اشعار العرب وساق
أحاديثها : حماد الراوية ، وكان غير موثوق به .
كان ينحل شعر الرجل غيره [وينحله غير
شعره] ويزيد في الأشعار^(٢) . [قال ابن
سلام] : أخبرني أبو عبيدة عن يونس قال : قدم
حماد البصرة على بلال بن أبي بردة [وهو

(٣) الأغاني : لأبي الفرج الأصفهاني ج ٥ ص ٢٣٨ - ٣٣٩
(ط . دار الفكر) .

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٧ - ٩ .

(٢) طبقات ص ٤٨ .



يذكر أبو الفرج الأصفهاني أن الوليد بن يزيد قال لحماذ الراوية : « بما استحققت هذا اللقب فقل لك الراوية ؟ فقال : بأني أروي لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به . ثم أروي لأكثر منهم من تعرف أنك لم تعرفه ولم تسمع به . ثم لا أنشد شعراً لقديم ولا مُحدث إلاّ ميّزت القديم منه من المحدث . فقال : إن هذا لعلم وأبيك كبير ! فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال : كثيرا . ولكن أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام . قال : سأمتحنك في هذا ، وأمره بالانشاد فأنشد الوليد حتى ضجر ، ثم وكل به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفي عليه ، فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهليين ، وأخبر الوليد بذلك فأمر له بمائة ألف درهم^(١) .

ويورد أبو الفرج الأصفهاني شهادة الهيثم بن عدي لحماذ الراوية بالثقة التامة فيقول عنه : « ما رأيت رجلاً أعلم بكلام العرب من حمّاد^(٢) . كما يورد الأصفهاني اعتراف أبي عمرو بن العلاء لحماذ على لسان أبي عمرو الشيباني أنه قال : « ما سألت أبا عمرو بن العلاء قط عن حماد الراوية إلاّ قدمه على نفسه ، ولا سألت حمادا عن أبي عمرو إلاّ قدمه على نفسه^(٣) .

وعلى الرغم من تلك الاعترافات لحماذ التي أوردها الأصفهاني في أغانيه فإن - أبا الفرج -

يورد نصوصاً تزعزع الثقة في حماد . يروي صاحب الأغاني أن : « حمّاداً الراوية قدم على بلال بن أبي بُردة البصرة ، وعند بلال ذو الرُمة . فأنشده حمّاد شعراً مدحه به . فقال بلال لذي الرُمة : كيف ترى هذا الشعر ؟ قال : جيداً ، وليس له . قال : فمن يقوله ؟ قال : لا أدري ، إلاّ أنه لم يقله ، فلما قضى بلال حوائج حمّاد وأجازه قال له : إن لي إليك حاجة ، قال : هي مقضية . قال : أنت قلت ذلك الشعر ؟ قال : لا ! قال : فمن يقوله ؟ قال : بعض شعراء الجاهلية وهو شعر قديم وما يرويه غيري ، قال : فمن أين علم ذو الرُمة انه ليس من قولك ؟ قال : عرف كلام أهل الجاهلية من كلام أهل الاسلام^(٤) .

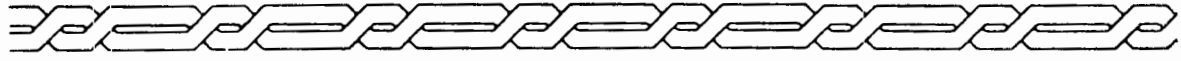
وعلى أية حال ففي كتاب الأغاني نص هام صريح يوضح طريقة حمّاد في انتحال الشعر فقد سمع ابن الأعرابي عن المفضل الضبي يقول : « قد سلّط على الشعر حمّاد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبداً . فقل له : وكيف ذلك ؟ أيخطيء في روايته أم يلحن ؟ قال : ليته كان كذلك ، فإن أهل العلم يردّون من أخطأ إلى الصواب ، لا : ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ، ومذاهب الشعراء ومعانيهم . فلا يزال يقول الشعر يُشبه به مذهب رجل يُدخله في شعره ، ويُحمل ذلك عنه في الآفاق ، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند

(١) الأغاني ج ٥ ص ٣٢٣ - ٣٢٤ - ٣٤٢ .

(٢) الأغاني ج ٤ ص ٣٢٥ .

(٣) الأغاني ج ٥ ص ٣٢٦ .

(٤) الأغاني ج ٥ ص ٣٣٨ .



عالم ناقد وأين ذلك ؟»^(١) .

ولعل مما يؤيد قول المفضل هذا ما رواه الأصفهاني كذلك أن الخليفة المهدي جمع في داره بعباساً ذكثيراً من الرواة والعلماء بأيام العرب وأشعارها وآدابها ولغاتها . ودعا بالمفضل الضبي الراوية فدخل عليه ومكث ملياً ثم خرج إلى القوم ومعه حماد والمفضل جميعاً . ثم خرج خادمه فقال : يا معشر من حضر من أهل العلم إن أمير المؤمنين يعلمكم أنه قد وصل حماد الشاعر بعشرين ألف درهم لجودة شعره ، وأبطل روايته لزيادته في أشعار الناس ما ليس منها ، ووصل المفضل بخمسين ألفاً لصدقه وصحة روايته . فمن أراد أن يسمع شعراً جيداً مُحدثاً فليسمع من حماد . ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضل ، وذلك لأن حماد الراوية أضاف إلى شعر زهير هذه الأبيات :

لَمَنِ الدِّيارُ بَقْنَةُ الجِجَرِ
أَقْوِينَ مُذْ جَجَجٍ وَمُذْ دَهْرٍ
قَفَّرٍ بِمَنْدَفَعِ النَّجائبِ مِنْ
صَعْدَى أَلافِ الضَّالِّ والسَّدرِ
دَعْ ذَا وَعَدِّ القَوْلِ فِي هَرَمٍ
خَيْرَ الكُهُولِ وَسَيِّدِ الحَضَرِ^(٢)

والواقع أن ابن سلام قد وثق ببعض الرواة غير حماد وابن اسحاق ولم يشك إطلاقاً في

شخصيتهم . وهم عنده : أبو عبيدة والأصمعي والمفضل الضبي وخلف الأحمر . يقول عنهم : « قال فنقلنا ذلك إلى خلف بن حيّان أبي محرز الأحمر ، اجتمع أصحابنا أنه كان أفرس الناس بيت شعر وأصدقه لساناً ، كُنّا لا نبالي إذا أخذنا عنه [خبراً] أو أنشدنا شعراً ، أن لا نسمعه من صاحبه^(٣) . وكان أبو عبيدة والأصمعي من أهل العلم ، وأعلم من ورد علينا من غير أهل البصرة : المفضل بن محمد الضبي الكوفي »^(٤) .

وإذا كان ابن سلام قد وثق من خلف الأحمر فإن بعض الرواة اعتبره ثقة كذلك وعالماً بالشعر . يقول عنه الأخفش وعن الأصمعي فيما يرويه الرياشي عنه أنه قال : « لم ندركها هنا أحداً أعلم بالشعر من خلف والأصمعي . قلت : أيهما كان أعلم ؟ قال الأصمعي : قلت : لم ؟ قال : لأنه كان أعلم بالنحو » .

وقال أبو حاتم - السجستاني - قال الأصمعي : كأنما جعل علم [لغة] ابني نزار ومن كان من بني قحطان على لغة ابني نزار بين جوانح خلف الأحمر بمعانيها . وقال الأصمعي : قال خلف : كنت أرى أن ليس في الدنيا رقية أطول من رقية الحية ، فإذا رقية الخبز أطول ، يعني ما يتكلف الشعراء والخطباء .

« وحكى أن ابن سلام في طبقات الشعراء : قال كنا إذا سمعنا

الشعر من أبي محرز لا نبالي أن نسمعه من قائله .

(٤) طبقات فحول الشعراء ص ٢٣ .

(١) الأغاني ج ٥ ص ٣٣٩ .

(٢) الأغاني ج ٥ ص ٣٣٩ - ٣٤١ (دار الفكر) .

(٣) رواية الزبيدي في طبقات النحويين ص ١٧٧ - ١٧٩ :



ويروي الزبيدي عن ابن الغازي عن عيسى
ابن اسماعيل قال : سمعت الأصمعي - وذكر
خلفا الأحمر أبا محرز - فقال : ذهبت بشاشة
الشعر بعد خلف الأحمر . فقيل له : كيف وأنت
حي ! فقال : إن خلفاً كان يحسن جميعه ، وما
أحسن منه الا الحواشي (١) .

غير أننا حقاً كذلك نعجب من تضارب
الأخبار وتناقضها حول شخصية خلف هذا . فإذا
كان قد وثق به بعض النقاد والرواة كابن سلام
والأصمعي وغيرهما فإنه كان غير موثوق الرواية
عند بعض الرواة كذلك . فالزبيدي مثلاً يروي
عن أبي علي أنه قال : « خرج خلف الأحمر يوماً
على أصحابه فأنشدهم قول النمر بن تولب :

ألم بضجتي وهم هجوع
خيال طارق من أم حصن

قال : لو كان مكان « من أم حصن » « من أم
حفص » كيف كان يكون قوله بعده :

لها ما تشتهي غسل مصفى
وإن شاءت فحواري بسمن

فقالوا : لا ندري . فقال : « وإن شاءت
فحواري بلمص » واللمص : الفالودج . ثم
أنشدهم قول النابغة الجعدي في صفة الفرس :

كأن مِقطَّ شراسيفه
إلى طرف القنب فالمنقب

فقال : لو كان مكان « فالمنقب »
« فالقهبلس » كيف يكون ما بعده : فقالوا : لا

ندري ، فقال :

« من خشب الجوز والآنس » والقهبلس :
الذكر (٢) .

ويؤكد الزبيدي عن أبي علي أنه قال عن
خلف الأحمر : « وكان يقول القصائد الغرَّ
ويُدخلها في دواوين الشعراء . فيقال : إن
القصيدة المنسوبة إلى الشنفرى التي أولها :

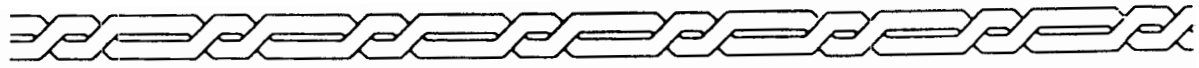
أقيموا بني أمي صدور رماحكم
فلإني إلى أهل سواكم لأميل
هي له (٣) .

ويروي أبو حاتم السجستاني كذلك - عن
الأصمعي ، عن خلف أنه قال : « إذا كان
الحديث موضوعاً كان على ما يشتهي الناس ،
فإذا كان حقاً كان على ما يشتهون وعلى ما
يكرهون » . ويقرر أبو حاتم أنه كان بالبصرة
علماء بالشعر وهم : أبو عمرو بن العلاء وخلف
الأحمر والأصمعي وأبو عبيدة وخلق كثير رواة ،
مثل أبي خالد النميري وأبي البيداء ، وكان
خلف شاعراً ، وكان وضع على عبد القيس
شعراً مصنوعاً عبثاً منه ثم تقرأ - تنسك - فرجع
عن ذلك وبينه .

ويشهد الأصمعي ، فيما رواه تلميذه أبو
حاتم عنه ، أنه سمع خلفاً يقول : أنا وضعت
على النابغة هذه القصيدة التي يقول فيها .

خيل صيَّام وخيل غير صائمة
تحت القتام وأخرى تملك اللجما (٤)

(١) طبقات النحويين للزبيدي ص ١٨٠ . (٢) طبقات النحويين ص ١٧٩ . (٣) المصدر نفسه ص ١٧٩ . (٤) المصدر نفسه ص ١٧٩ .



ويضيف أبو الفرج الأصفهاني اعترافاً صريحاً من خلف عنه وعن حمّاد الراوية يرويه عنه أبو عبيدة « قال خلف : كنت آخذ من حمّاد الراوية الصحيح من أشعار العرب وأعطيته المنحول ، فيقبل ذلك مني ويدخله في أشعارها ، وكان فيه حمق »^(١) .

والحق أن شخصيتي حمّاد وخلف فيهما من الغرابة والتناقض ما يجعلنا نتردد في قبول ما يرويان من أشعار عن أهل الجاهلية خاصة وعن الاسلاميين عامة .

وظاهرة الانتحال هذه إذا كان ابن سلام قد نبّه الأذهان إليها ، وقد شغلته منذ العصور الاسلامية الأولى في تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، فإن فروعها امتدت الى العصر الحديث وشغلت أذهان الباحثين سرة اخرى . ولعل المستشرق الانجليزي مرجليوث كان من أوائل من نبّه الأذهان حديثاً الى قضية الانتحال في الشعر الجاهلي غير انه قد أسرف في الحكم والتشكك في شعر الجاهليين بسبب وبدون سبب .

وقد حاول الدكتور طه حسين كذلك أن يتبنى قضية الانتحال فتابع ملحوظات مرجليوث وأخرجها في صورة موسعة في كتابه الأول : « في الشعر الجاهلي » . غير أن الباحثين العرب تنبهوا الى الخطر المحدق بتراث الاسلام خاصة عندما امتدت اليه معاول الهدم من قبل

اعدائه^(٢) وبعض أبنائه ، وتصدوا لنظرية الدكتور وردّوها عليه . وكان ممن تصدى له الأستاذ مصطفى صادق الرافعي في كتابه « تحت راية القرآن » فأفسد عليه نظريته ، وكذلك فعل غيره من الباحثين المسلمين ، الأمر الذي اضطر من أجله أن يصادر الكتاب من الأسواق . غير أن الدكتور طه أعاد الكرة مرة اخرى في الكتاب الثاني ظاهراً لا باطناً بمسمى آخر هو « في الأدب الجاهلي » . ويبدو أنه قد وسع دائرة شكه من محيط الشعر إلى محيط « الأدب » عامة بما في ذلك النثر . والواقع انه قد أسرف في شكه وهدمه للشعر العربي القديم عامة وللشعر الجاهلي خاصة بل وأنكر وجود كثير من شعراء الاسلام أيضاً ، إذ وسع دائرة الشك والهدم فامتدت الى كتابه « حديث الاربعاء » بأجزائه الثلاثة .

وليس من شك في أن بعض الشعر الجاهلي ، أو قل إن كثيراً منه شعر منحول وصل إلينا عن حمّاد الراوية وخلف الأحمر وغيرهما من الرواة غير الثقات . غير أن الأمر يمكن تحديده وضبطه وذلك بعدم الأخذ برواية أولئك الرواة غير الثقات ، ذلك أن القدماء أمثال الناقد محمد بن سلام الجمحي قد كفونا مؤنة الشك فيهم وأنهم غير ثقات ، ولا يُقبل منهم ما رويوا من غثاء . ونقبل في الوقت نفسه ما وصلنا من الرواة الثقات الذين وثقهم القدماء أمثال المنضّل بن محمد الضبي والأصمعي وأبي

المذكور ص ٣٥٢ - ٣٧٦ وكذلك فعل الدكتور شوقي ضيف في العصر الجاهلي .

(١) الأغاني ج ٥ ص ٣٤٢ (دار الفكر) .

(٢) ناقش الدكتور ناصر الدين الأسد في رسالته العلمية « مصادر الشعر الجاهلي » آراء المستشرقين وفندها . انظر كتابه



عبدة وابن الأعرابي وابن العلاء وغيرهم ممن عرفنا بهم محمد بن سلام في طبقاته .

ويكفي أن ابن سلام كان من أوائل المحققين في قضية الانتحال وعالج بمبادئه وأسس النقدية الموضوعية موضوع إثبات الشعر الصحيح ورفض الشعر الزائف ، وعرفنا بالرواة جميعا الثقات منهم وغير الثقات بنقد موضوعي لا غبار عليه حقاً .

* مقاييس ابن سلام النقدية :

ان المقاييس الفنية التي استخدمها ابن سلام في طبقاته في تفضيل الشعراء مقاييس عامة ثلاثة :

- أ - مقياس جودة شعر الشاعر .
- ب - مقياس كثرة شعر الشاعر .
- ج - مقياس تعدد أغراض شعر الشاعر .

ويبدو أن ابن سلام يقصد بكثرة شعر الشاعر الكثرة العددية ولا يعنى بكثرة فنون الشعر من وصف ومدح وهجاء ورناء وغزل . فجلّ اهتمامه موجه الى العناية بكثرة الكمية لا كثرة النوعية ، وان كانت الثانية تأتي لاحقاً . ومن المظنون أن ابن سلام ربما لا تهتمه جودة الشعر أيا كان قليلا

جيذا ، وانه يهتم بكثرة الشعر وان كان غير جيد في معظمه . وربما أشار ابن سلام الى ذلك صراحة في ترجمته للأسود بن يعفر^(١) في الطبقة الخامسة إذ وضعه بعد ترجمة خدّاش بن زهير وقال عنه ما نصّه : « وله واحدة رائعة طويلة لاحقة بأجود الشعر لو كان شفعها بمثلها قدّمناه على مرتبته »^(٢) . ويظن أن ابن سلام في هذه النظرة النقدية قد تأثر بشيخه الأصمعي في نظره الى شعر المهلهل بن ربيعة فقد كان ينظر الى شعره بمنظار الكثرة العددية وقال عنه : « ولو كان قال مثل قوله :

(أَلَيْتَنَا بَذِي جَشَمَ أَنْيَرِي)

كان أفحلهم وأكثر شعره محمول عليه »^(٣) .

وكان الأصمعي ينظر الى شعر الحويدرة بنفس مظهر الكَم لا الكَيْف وقد سئل عن فحولة الحويدرة فقال عنه : لو قال مثل قصيدته خمس قصائد كان فحلا^(٤) . وكذلك كان ينظر بنفس المنظار الكمي الى شاعرية معقر البارقي حليف بني نُمير ، فقد قال عن فحولته : « لو أتمّ خمساً أو ستاً لكان فحلا »^(٥) . وكانت له نظرة اتسمت بطابع العددية في شعر أوس بن غلفاء الهُجيمي ، لا الكيفية او النوعية عندما سئل عن

وانظر :

- تاريخ النقد عند العرب من القرن الثاني حتى القرن الثامن

الهجري للدكتور احسان عباس ص ٥٢ (دار العلم للملايين -

بيروت سنة ١٩٧١ م) - الموشح للمرزباني ص ١٠٦ وفيه :

« خمس قصائد ، لكان أفحلهم » وهذه الزيادة لم ترد في

كتاب الأصمعي أصلاً .

(٤) فحولة الشعراء ص ٥١٠ .

(١) انظر ترجمته في ابن سلام وفي تحقيق الدكتور نوري حمود

القيسي ببغداد . وقد ذكره الأصمعي في كتابه فحولة الشعراء

(تحقيق Torrey ص ٥١٠ ، قلت فالأسود بن يعفر النهشلي

قال : يشبه الفحول .

(٢) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١٤٧ .

(٣) فحولة الشعراء للأصمعي (تحقيق Ch. Torrey في مجلة

الجمعية الالمانية الشرقية 516-487 Z.D.MG.LXV.

حد سواء . فكيف يسمى إذاً جيداً ؟

وعلى أية حال فإن مقياس ابن سلام في جودة شعر الشاعر وفحولته لم يتضح لنا جلياً ، إذ لم يؤله من العناية ما يستحق . بل ارتبطت فكرة «الجودة» عنده بمقياس «الكثرة» في الجودة . بمعنى أن الشعراء المجيدين المقلين تأخروا عنده في طبقاته ، وتقدم عليهم الشعراء المكثرون المجيدون . وهذا يظهر الوهن والضعف في المقياس النقدي الذي ارتضاه لنفسه ابن سلام . فمقياس الكثرة مع الجودة ليس مقياساً نقدياً دقيقاً عادلاً ، بل إن مقياس النوعية والكيفية مع القلة يعتبر مقياساً أكثر دقة وعدلاً وقبولاً .

ومن أجل هذا المقياس غير الدقيق المتأرجح عند ابن سلام عاب بعض النقاد المحدثين مقياس ابن سلام . قال الدكتور محمد مندور ما نصه :

« وأما عن تفضيله الكثرة على الجودة وتعدد الأغراض الشعرية على التوفر على الفن الذي تحزبنا إليه ملاسبات حياتنا ، ففي ظننا أنه من الواضح أن « الكم » ليس مقياساً صحيحاً لقيم الشعراء »^(٣) .

وعابت الدكتورة بنت الشاطيء كذلك اهتمام

شاعرية هذا الشاعر وفحولته فقال : « لو كان قال عشرين قصيدة لألحق بالفحول ولكنه قطع به »^(١) .

ويعتقد أن مقياس جودة الشعر الذي اتخذه ابن سلام مقياساً نقدياً له خطره في تقديم الشاعر وتأخيريه من حيث الشاعرية والفحولة ، لا نستطيع أن نتبين حدوده وملامحه عنده مثلما اتضحت أبعاد هذا المقياس النقدي عند ابن قتيبة في « الشعر والشعراء »^(٢) . إذ قنن ابن قتيبة في كتابه النقدي فكرة الجودة وخطط لها بامعان ودقة ، ورسم لها أبعاداً واضحة وضعها في كتابه مقياساً للناقد الأدبي الذي يمكنه أن يميز بين الجيد والرديء في ضوء معيار نقدي واضح . فالجودة عند ابن قتيبة لها أبعاد ثلاثة ولا أقول أربعة كما حاول تقنينها وتحديدتها ابن قتيبة . فهناك عنده من الشعر :

- ١ (ما جاد معناه وجاد لفظه .
- ٢ (ما جاد معناه وقصر لفظه .
- ٣ (ما جاد لفظه وقصر معناه .
- ٤ (ما قصر معناه وقصر لفظه .

وما أظن أن النوع الرابع من تقسيمات الجودة عند ابن قتيبة يمكن اعتباره جيداً إطلاقاً ، بل يعتبر من الرديء حقاً وذلك بسبب بسيط هو ذلك التقصير في الجودة في المعاني والألفاظ على

طبعة هل لطبقات ابن سلام في :

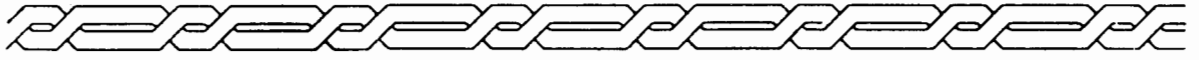
Die Klassen Der Dichter , Heraus -Gegeben, Von J. Hell, Leiden, 1916, p. 16.

(٣) النقد المنهجي عند العرب : د . محمد مندور ص ١٩ .

(١) فحولة الشعراء للأصمعي (نوري ص ٥٠٩) وانظر :

- تاريخ النقد الأدبي عند العرب للدكتور احسان عباس ص ٥٢ . والموشح ١٠٦ ، ١١٩ ، ١٢٠ .

(٢) ومن أجل هذا ذهب « يوزيف هُلْ » إلى اعتبار عمل ابن سلام نقطة تحول الى كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة . (انظر



والمقياس الذي يلائم طبيعة الأشياء ، وتقوم عليه المفاضلة بين الشعراء في كل الآداب . وجودة الشعر وكثرته مقياس حسن في النقد الأدبي لتقدير مكانة الشعراء»^(٢) .

والحق أن المقياس النقدي الذي أخذ به ابن سلام في تفاضل الشعراء وتصنيفهم في طبقات الفحول بحسب كثرة ما انتجوه من شعر الى جانب جودة ذلك الشعر ، كان مقياساً يناسب طبائع الأشياء وكذلك أذواق اللغويين والنقاد الذين ساروا على نهجهم . غير انه يختلف بدون شك عن نظرة النقاد المحدثين الى مكانة الشاعر لا بكثرة ما انتج ولكن بنوعية ما انتج وكيفية ما انتج ، وهو ما أشار اليه الدكتور محمد مندور ، رحمه الله ، وأكدته الدكتورة بنت الشاطيء في « قيم جديدة في الأدب العربي » .

يوضح بعض النقاد المحدثين وجهة نظرهم في تقييم الأدب لا بكميته وعدديته ولكن بقيمته في حد ذاته . يقول رينية ويليك Rene Wellek « فإذا سألنا الآن أسئلة تتعلق بالضوابط ، مثل : كيف يتوجب على الناس أن يقدروا الأدب . . ويقوموه ؟ كان لزاما علينا أن نجيب ببعض التعريفات . يتعين على الناس أن يقدروا الأدب لكونه ما هو عليه ، وعليهم أن يقيموه بحدود درجات قيمته الادبية . ويجب أن تتواجد بالضرورة طبيعة الأدب ووظيفته وتقييمه في علاقات متبادلة وثيقة»^(٣) . ويذهب الدكتور احسان

ابن سلام بمقياس « الكم » ، ولا مته كذلك في عدم اعتبار مقياس « الكيف » أو النوع مقياساً نقدياً ثابتاً في طبقاته وفحوله . وترى الدكتورة أن طرفة وعبيد بن الأبرص - قد استكثر عليهما ابن سلام مكانهما في الطبقة الرابعة عنده ، خضوعاً لمقياس « الكم » لا « الكيف » . بل إنه اتخذ من شهرتهما مع قلة شعرهما بأيدي الرواة دليلاً على ضياع شعر كثير . . ولم يخطر بباله أن يكون للمستوى الفني ما يشفع لطرفة وعبيد في تلك الطبقة الرابعة »^(١) .

وسواء اتفقنا مع ما ذهب إليه كل من الدكتور مندور والدكتورة عائشة عبد الرحمن في أن مقياس « الكيف » أو « النوع » مقياس نقدي أكثر صراحة من مقياس « الكم » أو الكثرة العددية ، واختلفنا مع ابن سلام في أن مقياس الكثرة مع الجودة ليس معياراً دقيقاً كل الدقة في تفضيل شاعر على آخر ، فان العرف النقدي السائد في ذلك الزمان كان يدعو الى اعتبار مقياس الكثرة مع الجودة أفضل من مقياس القلة مع الجودة . إذ يسوق الأستاذ طه احمد إبراهيم دليلاً عملياً على أن المقياس في التفاضل بين الشعراء انما كان هو كثرة الشعر وجودته ، وهو : « الذي جرى عليه العلماء الذين توسعوا في جعل الشعراء طبقات . فابن سلام جعله دعامة لكتابه طبقات الشعراء ، فابن سلام معاصرو صاحب الكثير من اللغويين . . نزيد على ذلك أنه المقياس الذي أقيمت عليه طبقات الشعراء المحدثين . والمقياس الذي أقام عليه الأمدي موازنته بين أبي تمام والبحتري ،

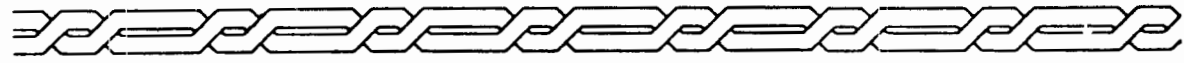
(١) قيم جديدة في الأدب العربي : د . عائشة عبد الرحمن ص ٥٦ .

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب : طه احمد إبراهيم (دار

الحكمة - لبنان) ص ٦٦ .

(٣) نظرية الأدب : أوستن وارن ، رينية ويليك (ترجمة محي

الدين صبحي . ط . الثالثة ١٩٦٢ م) ص ٣١٤ .



مختلفين في مناسبات معينة دون أن يكون له هدف انجاز عمل مترابط ذي كيان موحد ، كان ابن سلام قد أعطى بنظامه في « طبقات الشعراء » برنامجاً للمؤلف ككل ، ووسّع دائرة أحكامه على الشعراء المتفرقين في إطار حكم ذي كيان موحد مترابط . وهناك فرق آخر بين عمل الأصمعي وعمل ابن سلام يكمن في كون الأصمعي - وهو أحد اللغويين المتقدمين ، توفي سنة ٢١٦ هـ - لم يستند في علمه وحكمه على آراء سبقت ، بل كان يتخذ موقفاً شخصياً بحتاً ، بينما كان ابن سلام الذي كان يعلم بعده ببضعة عقود من الزمن - توفي سنة ٢٣١ هـ - كان يراعي بدقة وحسب طرق المثقفين الصحيحة آراء السابقين . ونادراً ما كان يخبر أو يصدر حكماً شخصياً ، وفيما خلا ذلك ، كان غالباً وفي معظم الأحوال ، يستند إلى رجال ثقات سابقين ويفتح كل حديث باسناد ^(٢) .

ولقد اهتم ابن سلام بتعدد أغراض الشعر عند الشاعر باعتباره خير مقياس لاختيار الفحول وتقديمهم . ينص ابن سلام في طبقاته على أهمية هذا المقياس وأنه طبقه نفسه في اختياره وتقديمه للشعراء . يقول الجمحي ما نصّه : « وقال أصحاب الأعشى هو أكثرهم عروضاً ، وأذهبهم في فنون الشعر ^(٣) » . وينص ابن سلام على تطبيق هذا المقياس على الشاعر الأموي كثير عزة الذي قدّمه على جميل بن مَعمر قائلًا في تفسير سبب تقديمه إياه . « وكان لكثير في التشبيب نصيب وافر ، وجميل مقدّم عليه [وعلى أصحاب النسيب

عباس إلى أن مبدأ « الكم » الذي اعتمده ابن سلام فجعله أحد الأسس في التدرج الطبقي ، كان الأصمعي قد اعتمد ذلك قبله . « وكان الأصمعي يرى أن الفحولة لا تتحقق بقصيدة أو عدد قليل من القصائد ، ولا بد من اعتبار « الكم » في إلحاق الشاعر بالفحول . وهذا مبدأ اعتمده ابن سلام حين تحدث عن الطبقة السابقة من فحول الجاهلية فقال : « أربعة رهط محكمون مقلّون وفي أشعارهم قلة فذاك الذي أخرجهم » وإذا سئل ابن سلام كيف تقدم طرفة وعبيد بن الأبرص ولم يصح لهما إلا عشر قصائد قال : « وإن لم يكن لهما غيرهن فليس موضعهما حيث وضعنا من الشهرة والتقدمة » ولكن يفترض ابن سلام هنا أن شهرتهما وتقدمهما يوجب أن يكون لهما شعر كثير ، إلا أن أكثره ضاع ، وضياعه لا يحرمهما التقديم ^(١) .

غير أننا وإن كنا نعتزف بمشيخة الأصمعي لابن سلام وتلميذه الأخير للأول فإن ما قام به ابن سلام في مجال « الفحولة » واعتماد مبدأ « الكم » إلى جانب « الجودة » جعل الفارق شاسعاً بينه وبين شيخه الراوية . ولقد عرف المتأخرون هذا الفضل لابن سلام وهذا أحدهم من المستعربين الذي نشر كتاب ابن سلام في أوروبا وهو : يوزيف هل J. Hell . يرى أن أثر ابن سلام في كتاب « طبقات فحول الشعراء » المشهور باسمه أكثر من أثر الأصمعي في كتاب « فحولة الشعراء » فبينما كان الأخير يعطي من عنده مجرد أحكام متفرقة على شعراء

Die Klassen Der Dichter, Herausgegeben, Von Joseph Hell, Leiden, 1916. P. XV

(٣) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ص ٦٥ .

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب : د . احسان عباس ص ٨١ .

(٢) أنظر يوزيف هل في :

M.I. Sallam Al-GUMAH



معاً [في النسيب ، وله في فنون الشعر ما ليس لجميل . وكان كثير يتقوّل ولم يكن عاشقاً وكان رواية جَمِيل^(١) . ولذا أخرج الجُمحي جميلاً إلى الطبقة السادسة من الاسلاميين وقَدّم عليه كثير عَزّة لأن له في الفنون الشعرية ما لم يتوفّر لجميل الذي تخصص في فن النسيب وهو المفضل فيه على غيره عند نقاد زمانه .

ومما عيب على ابن سلام الناقد تحكّمه في تصنيف الشعراء الى عشر طبقات ووضع أربعة رهط من الشعراء في كل طبقة . وقد أدى به تحكّمه^(٢) هذا أن ينزل شاعراً يستحق أن يكون في طبقة معاصريه أو في طبقة أقرانه الفحول المجيدين ، فيضعه في مرتبة أقل من مرتبته مثلما صنع مع أوس بن حجر الجاهلي شيخ زهير في مدرسة الصنعة والتثقيف . فقد وضعه في المرتبة الثانية وكان يستحق أن يكون في الأولى . ولذا اعتذر ابن سلام عن ذلك وحجته أو عذره في ذلك هو هذا الاختصار على أربعة شعراء في كل طبقة ، على أنه لم يستطع في أكثر من حالة أن يلتزم بهذا المبدأ . فوضع خمسة رهط أو أكثر في طبقة واحدة مثلما فعل مع شعراء القرى العربية خاصة شعراء المدينة . فقد عدّهم خمسة ووضعهم كلهم في طبقة^(٣) واحدة . وصنع مثل ذلك مع شعراء^(٤) مكة فقد عدّهم تسعة شعراء ووضعهم في طبقة واحدة . ومثال آخر على عدم التزامه بمبدأ الأربعة

« في كل طبقة » يتضح من تصنيفه شعراء اليهود فقد عدّهم ثمانية ووضعهم كلهم في طبقة واحدة ، مخالفاً بذلك قانونه أو مبدأه ، الذي وضعه وهو « عشر طبقات أربعة رهط كل طبقة ، متكافئين معتدلين »^(٥) .

ومما يحسب على ابن سلام كذلك أنه لم يهتم بتحليل النصوص الشعرية وتفتيت الفنون الشعرية ، وإظهار ما فيها من جمال أو قبح ، أو وصف فن الشاعر ، وهي مهمة الناقد في اعتقادنا ، بل آثر وَضَعَ الشعراء في طبقة من الجاهليين أو الاسلاميين أو غيرهم . وإن كان قد ألمح ببعض إشارات لطيفة لا تسمن ولا تغني من جوع كقوله عن فن الشاعر الشماخ في كلمات غامضة انه : « كان شديد متون الشعر أشدّ أسر كلام من لبيد ، فيه كرازة ، ولبيد أسهل منطقاً »^(٦) . وكقوله الغامض عن شاعرية النابغة أنه كان « أحسن أهل طبقته ديباجة شعر ، وأكثرهم رونق كلام ، وأجزلهم بيتاً كان شعره كلام ليس فيه تكلف »^(٧) وكقوله كذلك عن خدّاش بن زهير رواية عن أبي عمرو بن العلاء « هو أشعر في قريحة الشعر من لبيد ، وأبى الناس إلا تقدمة لبيد »^(٨) .

ولعل من الهنات البسيطة التي لا تقدح في مكانة ابن سلام النقدية الجليّة ، وجود بعض الأحكام العامة المطلقة التي كانت سمة نقاد عصر الجاهلية ، تلك الأحكام التي كانوا يطلقونها جُزْأً

(١) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ص ٥٤٥ .

(٢) أنظر : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، د . احسان عباس ص

٨١ .

(٣) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ص ٢١٥ .

(٤) المصدر نفسه ص ٢٣٣ .

(٥) المصدر نفسه ص ٢٤ .

(٦) طبقات ابن سلام ص ١٣٢ .

(٧) المصدر نفسه ص ٥٦ .

(٨) المصدر نفسه ص ١٤٤ .

الشعر ، عندما حكم على النابغة الجعدي بأنه : « مثله مثل صاحب الخُلُقَان : يرى عنده ثوب عَصَب [من برود اليمين] ، وثوب خَزْ ، وإلى جنبه سَمَل كساء [ثوب بال] »^(٣) . وهي أحكام في بعض الأحيان كذلك كالأحكام التي تسبب للأصمعي على النابغة الجعدي حينما قال عنه : « عنده خِمار بواف ، ومُطَرَف بالآف »^(٤) . وكحكم أبي عمرو بن العلاء على الشاعر خِدَاش بن زُهَيْر بأنه : « أشعر في قريحة الشعر من لَبِيد » .

ومن جملة أحكام ابن سلام التي تحتاج الى تعليل وتحليل قبل التعليل قوله : « والمقدّم عندنا مُتَمَم بن نُويرة »^(٥) وكقوله عن قيس بن الخطيم : « فمن النَّاس من يفضّله على حَسَّان شعراً ولا أقول ذلك »^(٦) « وكقوله عن أبي ذؤيب الهذلي بأنه كان « شاعراً فَحْلاً لا غميرة فيه ولا وَهْن »^(٧) . أو قوله عن سُحيم عبد بني الحُصْحاس الرابع في الطبقة التاسعة من طبقات الجاهليين بأنه « حُلُو الشعر ، رقيق حَواشي الكلام »^(٨) « أو حكمه على البَعِيث خِدَاش بن بِشْر من الطبقة الثانية من الشعراء الاسلاميين بأنه كان « شاعراً فاخر الكلام حُرَّ اللَّفْظ »^(٩) .

غير أننا والحق يقال نذهب الى أن ابن سلام

وفي أشكال غامضة . والواقع أن ابن سلام قد جمع بين دفتي كتابه « طبقات فحول الشعراء - الجاهليين والاسلاميين » مجموعة هائلة من القصائد اورؤ وس القصائد الهامة للشعراء . وهذا امر في حد ذاته يعتبر ذخيرة هامة لمعرفة أوائل الشعراء وأولية الشعر العربي القديم الصحيح المصنف من الزائف والمنحول ، غير أننا كنا نطمح من ناقد نظامي ذي نظرية نقدية واضحة كابن سلام أن يظهر على نقده شيء من النقد الفني في تحليل القصائد تحليلاً فنياً ، يظهر ما فيها من صبغة جمالية . ولكننا بعكس ذلك وقعت أيدينا على بعض احكام بسيطة عند ابن سلام ، وبعض أحكام جزئية كبعض أحكام النقاد الجاهليين البسيطة . وهي أحكام في حد ذاتها لا تبنى على فهم صحيح دقيق لنتاج الشاعر وعرضه على مجهر النقد وفحصه وتقويمه وتذوقه . فبعض أحكام ابن سلام في طبقاته أحكام شبه تقليدية بسيطة مطلقة لا تختلف عن بعض أحكام الشاعر حسان بن ثابت الأنصاري ، رضي الله ، عندما سئل عن أشعر الناس فقال : « حَيّاً أَوْ رَجُلًا ؟ قال : حَيّاً ، قال : أشعر الناس حيا هذيل »^(١) . وهي في بعض الأحيان أحكام غامضة غموض حكم الفرزدق ، الذي اتهمه الأصمعي^(٢) بعدم الشاعرية وسرق

٥٠٥ : النابغة الجعدي أفحم ثلاثين سنة بعد ما قال الشعر ثم

نبح ، قال والشعر الأول من قوله جيد بالغ والآخر كله مسروق وليس بجيد .

(٥) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ص ٢٠٤ .

(٦) المصدر نفسه ص ٢٢٨ .

(٧) طبقات ابن سلام ص ١٣١ .

(٨) المصدر نفسه ص ١٨٧ .

(٩) طبقات ابن سلام ص ٥٣٥ .

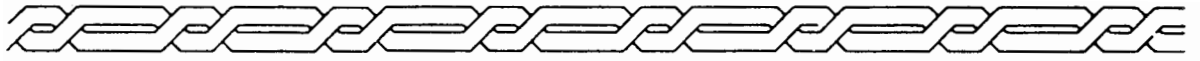
(١) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ص ١٣١ .

(٢) قال الأصمعي عن الفرزدق : تسعة أعشار شعره سرقة (فحولة الشعراء للأصمعي تحقيق شارلز توري ص ٥٠٥ في مجلة

الجمعية الألمانية الشرقية ZDMG, LXV.

(٣) طبقات ابن سلام ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٤) طبقات ابن سلام ص ١٢٥ وهذا الحكم يختلف عن حكم الأصمعي على الجعدي الذي قال عنه في فحولة الشعراء ص



« طبقات فحول الشعراء » الجاهليين والاسلاميين ، الى جانب أنه هذب تلك الآراء ونظمها ونقحها بأرائه الشخصية ذات القيمة الفنية النقدية ، فأصبح كتابه جامعاً شاملاً لمعظم الصور النقدية الأدبية العربية بحيث أصبح ممكناً اعتبار محمد بن سلام الجمحي مؤلف كتاب « طبقات فحول الشعراء » بحق رائد النقد العربي الموضوعي في القرن الثالث الهجري .

ومن الحق أن نقول : إن كتاب « طبقات فحول الشعراء » في صورته الحالية التي بين أيدينا لا يمثل جهد ابن سلام الكامل في مؤلفه سواء كان في طبعته الأوروبية الأولى على يد المستشرق يوزيف هل Joseph Hell في سنة ١٩١٦ م في ليدن بهولندا ، أو في طبعته اللاحقتين في مصر (دار المعارف سنة ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م ، وطبعة المدني سنة ١٣٩٤ هـ) مع الاعتراف الكامل بالجهد الكبير الذي بذله شيخ المحققين الأستاذ / محمود محمد شاكر . فالطبعة الأولى الأوروبية لم تعتمد إلا على مخطوطتين حديثتين انتقلتا بعد موت العلامة الشهير الشيخ محمود الشنقيطي إلى حوزة المكتبة الخديوية - دار الكتب المصرية حالياً بمصر - وتاريخ المخطوطة الأولى لا يعود إلى أبعد من سنة ثلاث وثلاثمائة وألف من هجرة النبي ﷺ . أما عمر المخطوطة الثانية المعتمدة في الطبعة الأوروبية الأولى فيعود إلى سنة عشر وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية . يضاف إلى ذلك كله أن

الجمحي قد خطى خطوات واسعة في مجال النقد الأدبي عند العرب ظهرت فيها بعض المبادئ القديمة في أشكال جديدة^(١) . وهي خطوات جريئة اختلفت إلى حد كبير عن منهج النقد الجاهلي . فإذا بنا عند ابن سلام نلاحظ هذا النوع الجديد من تنظيم النقد وتخطيط في التأليف النقدي الذي جعل من كتاب ابن سلام موسوعة نقدية أو قل أول وأهم مصدر نقدي عربي منظم مؤلف لم يعدم في ثناياه شيئاً من التعليل وإن كان بسيطاً . وحقاً فلم يبالغ المستشرق الانجليزي أ. ج. آربري^(٢) عندما عدّ كتاب « طبقات الشعراء » لمحمد بن سلام الجمحي واحداً من أهم المصادر عن تاريخ الشعر العربي والنظرية الشعرية . ولما كان كتاب « طبقات فحول الشعراء » لابن سلام الجمحي من أقدم المصادر التي وصلت إلينا عن الشعر العربي القديم لذا اعتبره المستشرق الانجليزي أ. أ. بيفان A.A. Bevan أهم مصدر عن أخبار الشعراء^(٣) .

إن كتاب « طبقات فحول الشعراء » لابن سلام الجمحي في صورته الحالية يعتبر بحق الأول من نوعه في تاريخ النقد الأدبي العربي فيما وصلنا من كتب نقدية موثوق بصحتها . وإذا كان ابن سلام قد جمع آراء معاصريه وسابقيه من اللغويين والنحويين والنقاد ورواة الشعر فإن عمله يمكن تلخيصه في جمع شتات تلك النقادات العابرة للنقاد القدماء التي سجلها بين دفتي كتابه

(٣) انظر : Some remarks on the text of the Tabakat ash-

Shu'ara of Muhammad Ibn Sallam al-Jamahi, by A.A

Bevan (J.RAS, 1926, p. 269).

(١) د . إحسان عباس ص ٨٢ .

(٢) انظر : New Materials on the Tabakat al-Shu'ara, of al :

Jumahi by A. J. Arberry (BSOAS, 1949, 1950)pp.

7- 22, 602- 615.

محمود شاكر في طبعته لكتاب « طبقات فحول الشعراء » (في دار المعارف بمصر وفي مكتبة صبحي المدني بالسكاكيني بالقاهرة) فان الكتاب المطبوع يبقى ناقصا ، ولا يمكن إقامة نظريات نقدية متكاملة عليه ، على الرغم من أنه لا توجد نصوص كثيرة في تاريخ الشعر العربي تضاهي كتاب ابن سلام من حيث المكانة وحسن التنظيم^(١٠).

والحقيقة التي لا مناص منها هي أن الباحثين في العالم أجمع لا يزالون ينتظرون في لهفة ظهور كتاب ابن سلام في هيئته الحقيقية بنصومه الكاملة المفقودة والموجودة . ولقد رغب يوزيف هل في عام ١٩١٦ م، بل تمنى أن تمهد له^(١١) اكتشافات أخرى الطريق الى نسخة كاملة من كتاب «طبقات فحول الشعراء». ولقد عثر المستشرق الانجليزي أ. ج. آربري^(١٢) في أثناء دراساته في مكتبة تشتربيتس بدبلن بأيرلندا بعد أن فهرس مخطوطاتها العربية على نسخة يظن انها نسخة قديمة من كتاب « طبقات فحول الشعراء » اعتقد ان تاريخها يعود الى القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي . واعتقد آربري كذلك انها لا تسد

المقدمة النقدية في المخطوطتين لم تصلنا إلا مبتورة ، كما أشار إلى ذلك محقق الكتاب^(١) ، ولطالما تشكك « يوزيف هل » في نسبة الكتاب لمؤلفه^(٢) بسبب ما لاحظته من نقص في المقدمة النقدية في الكتاب ، ومن كثرة السقوط والحذف في النصوص والتحريف . هذا إلى أن طبعة اوروبا المنسوبة « لهل » باعتراف الاوروبيين أنفسهم كانت طبعة ناقصة رديئة .

يقول المستشرق أ. ج. آربري : لقد أصبح معروفاً لدى الجميع أن النص الذي بين أيدينا (طبعة هل) ناقص وذلك بسبب جود نقص في نصوصه في المخطوطتين المكتشفتين المستعملتين في نشر الكتاب ، إلى جانب ما لوحظ من رداءة هذه الطبعة وعدم دقة النشر فيها^(٣) . وعلى الرغم مما بذل من جهود متعددة من قبل المستشرقين والمحققين العرب في سبيل إصلاح ما أفسدته طبعة « هل » بليدن ، مثل جهود H.Reckendorf هـ . ريكيندورف^(٤) وجهود س . أ . ستوري^(٥) ، وعمل ج . ليفي ديلا فيدا^(٦) وبحث أ . أ . بيفان^(٧) وبحث ج . كراتشكوفسكي^(٨) وجهود أ . ج . آربري^(٩) ، وكذلك جهود أستاذنا المحقق الكبير الأستاذ

(٧) انظر : JRAS, 1926, pp. 269 - 73

(٨) انظر : Zapiski, Vol. XXIV pp. 278- 83

(٩) BSOAS, 1949, 1950 pp. 7 - 22

(١٠) 602 - 615 BSOAS, 1949. p. 7 آربري

(١١) انظر : J. Hell: M. I. Sallam Al -Guumahi, p. XXII.

(١٢) A. J.Arberry in BSOAS, 1949, p. 7: The Chester

Beatty Library, A Handlist of the Arabic Manuscripts, Vol. 1. by Arthur J. Arberry, Dublin, 1955,

p. I -

(١) انظر : Die Klassen Der Dichter, von J. Hell, Leiden, 1916, p. XIX-- XX.

(٢) J. Hell p. XI, XVI.

(٣) انظر : New Materials on the Ta'baqat al- Shu'ara' of al - Jumahi, by A.J. Arberry(BSOAS, 1949, p. 7).

(٤) انظر : Orientalistische Literaturzeitung, May, 1917, Coll. 147- 152.

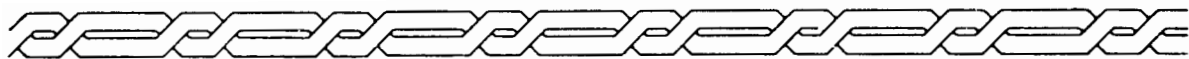
(٥) انظر : JRAS, 1918, pp. 340 - 355.

(٦) انظر : RSO, Vol. VIII. pp. 611- 36

(٧) انظر : JRAS, 1918, pp. 340 - 355.

(٨) انظر : RSO, Vol. VIII. pp. 611- 36

(٩) انظر : JRAS, 1918, pp. 340 - 355.



ونصوصا كثيرة مختلفة تمهد لاجراء طبعة جديدة متكاملة للكتاب المذكور .

د . محمود حسن زيني

النقص الكثير في طبعة « هل » فحسب بل توجد بها إضافات كثيرة مما لم يطبع ، تُشكل الشكل النهائي لكتاب « طبقات فحول الشعراء » . وهي بعد هذا وذاك ستقدم للقارئ نسخة أصلية

